سلسلة حكايات قرآنية (٦)

الجبل الطائر

إعداد

منصور علي عرابي

obeikandl.com

obeikandl.com

كانَ بَنُو إسرَائيل أكثرَ النَّاسِ فُسوقًا وجِدَالًا، وكانُوا ـ إلا القَلِيلَ ـ يُكذِّبونَ الأنبياءَ، ويُكثرونَ مِن إيذائِهِمْ، بَلْ كانُوا ـ أَحيانًا ـ يَقتُلونَهم عدوانًا وظُلمًا.

وقصةُ الجبلِ الطَّائرِ وردَتْ في كتابِ الله، حيثُ أمرَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ الملائكةَ أنْ ترفعَ فوقهُمْ جبلَ الطُّورِ، وذلكَ لشدةِ فسوقِهِمْ وعصيانِهم لنَبي اللهِ مُوسى، فلمَّا رُفِعَ فَوقهمُ الجبلُ أطاعُوا وخضعُوا لأوامرِ اللهِ.

وهكذَا أثبتُوا أنَّهم لا يُسلمونَ وجوهَهمْ للهِ إلا إذا لُويَت أعناقُهم بمعجزةٍ حِسيَّةٍ ألقَتِ الرعبَ والفزعَ في نفوسِهِمْ وقلوبِهِمْ، فسجدُوا للهِ قَهرًا، لشدةِ خوفِهم من عذابِ اللهِ الّذي رأَوْهُ رأيَ العينِ. فهيَّا معًا نقرأ قصةَ الجبلِ الطَّائرِ، لنرَى مَا فيهَا مِن معجزةِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ وعظيمِ قُدرتِهِ، كمَا نتعرفُ من خلالِها على طبائعِ بني إسرائيلَ، ومَا جُبلُوا عليهِ من العصيانِ والفسوقِ.

موعدٌ معَ اللهِ

واعدَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ مُوسى ـ عليه السلامُ ـ أَن يذهبَ إليهِ بعد ثلاثينَ ليلةً، وذلكَ ليُكلِّمهُ ويعطيهُ ألواحًا فيهَا مَواعظُ وهدايةٌ وتنظيمٌ للمجتمعِ الإسرَائِيليِّ الجديدِ، وذلكَ بعدَ خُروجهِمْ من مصرَ، واستقرارِهمْ على الحدودِ الَّتي بينَ مصرَ والشامِ، وكانَ الموعدُ بعدَ ثلاثينَ ليلةً، فظلَّ مُوسى ـ عليه السلامُ ـ ينتظرُ هذا الموعدَ بشوقٍ ولهفةٍ، إنَّهُ موعدٌ مع الله، ولكَم يتمنَّى مُوسى ـ عليه السلامُ ـ سماعَ صوتِ رَبِّه ـ عزَّ وجلَّ ـ الذي يأنسُ بهِ طَويلًا، ويَسعدُ بهِ كَثيرًا. وراحَ مُوسى ـ عليه السلامُ ـ يُهيئُ نَفْسَهُ لهذا اللقَاء المرتقَبِ، فيكثرُ من الصلاةِ للهِ، ويزيدُ في العبادةِ، حتى إنَّـهُ صامَ هذه المدَّة، وذلكَ لتصفُوَ نفسُهُ، وتعلُوَ همتهُ، وتنقَى روحُه الطاهرةُ، ويصيرَ عبدًا ربّانيًا.

ولمَّا مرَّت الثلاثونَ ليلةً، وأتمَّ مُوسى ـ عليه السلامُ ـ صيامَ شهرٍ لم يطعَمْ فيهِ الطعامَ، أخذَ عُودًا من شجرةٍ، فمضغَهُ ليُطَيِّبَ ريحَ فمهِ، فأمرهُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أن ينتظرَ

عَشرًا أُخرى، فصارَت المدَّةُ المُنتظرةُ أربعينَ ليلةً، قالَ تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

ولمَّا انتهَتِ المدَّةُ، تهيأَ مُوسَى - عليه السلامُ - للخروجِ، واستخلفَ على بني إسرائيلَ أَخاهُ هارونَ - عليه السلامُ -، وهوَ وزيرهُ في الدعوةِ، وأوصاهُ أن يُحافظَ على بني إسرائيلَ، ويعملَ فيهِمْ بالسيرةِ الحسنةِ والإصلاحِ، قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وفي الوقتِ الّذي أمرَ اللهُ - تعالَى - مُوسى أن يأتيَهُ فيهِ، جاءَهُ وكلَّمهُ اللهُ - عزَّ وجلَّ - مِن وراءِ حجابٍ، إلا أنَّهُ أسمعهُ الخطابَ، فنَاداهُ وناجَاهُ، وقرَّبَهُ وأَدناهُ. وهذا مقامٌ رفيعٌ، ومنزلٌ شريفٌ، اختصَّ اللهُ - عزَّ وجلَّ - بهِ كليمَهُ ورسولَهُ مُوسى - عليه السلامُ -.

ولمَّا أُعطيَ مُوسى - عليه السلامُ - هذهِ المنزِلةَ العَالِيةَ، وتلكَ الدّرجةَ الساميةَ، تَشوَّقَ إلى ما هوَ أسمى وأعلى مِن

ذلكَ، فطلبَ مِن اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ رفعَ الحجابِ، ورُؤيةَ وجهِ اللهِ العليِّ القديرِ، والاستمتاعَ بالنظرِ إلى الذاتِ العليَّةِ، فأخبرَهُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أنَّهُ لا يستطيعُ ذلكَ، لأنَّهُ ـ سُبحانَهُ ـ لا تُدركهُ الأَبصارُ، ولا يَراهُ حيٌّ في الدُّنيا إلا ماتَ، ولا يابسٌ إلا تهدَّمَ وهوى، وأنَّ حجابَهُ من النورِ، لو كشفَهُ لأحرقَتْ أنوارهُ كلَّ مَا انتهَى إلى بصرِه من خلقِه، وأكَّدَ لهُ ذلكَ بأنَّهُ ـ تعالَى ـ سَيتجَلَّى للجبلِ الذي هوَ أقوَى وأكبرُ ذاتًا وأشدُّ ثباتًا من الإنسانِ، ولْيَنْظُرْ مُوسى إلى الجبلِ ومَا يحدثُ لهُ، قالَ تعالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ثُمَّ تجلَّى المولَى ـ عزَّ وجلَّ ـ بنورهِ إلى الجبلِ، فَدُكَّ الجبلُ، واستوَى بالأرضِ، فلمّا رأى موسى ـ عليه السلامُ ـ ذلكَ خَرَّ صَعقًا، مَغشيًّا عليهِ، فلمَّا أفاقَ تابَ إلى اللهِ، وقالَ: لَنْ أسألَ الرُّؤيةَ بعدَ هذَا، قالَ تعالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن

تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فتابَ اللهُ عليهِ، وقبلَ عُذرَهُ، وأخبرَهُ أَنَّهُ اصطفاهُ بمنزلةٍ عظيمةٍ، ومكانةٍ كبيرةٍ، وهي أَنَّهُ «كليمُ اللهِ»، وجعلَهُ من الأنبياءِ والمرسلينَ، وأمرَهُ أَنْ يأخذَ الرسالةَ وكلامَ اللهِ، ويعملَ به، ويبلِّغهُ لبني إسرائيلَ، ويشكرَ اللهَ - عزَّ وجلَّ - على ما أَعطاهُ ومنحَهُ مِن فضلٍ كبيرٍ، فضلِ النُّبوةِ، وفضلِ الكلامِ مع اللهِ، ولا يطلبَ مَا لا طاقةَ لهُ بهِ، قالَ تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

أَلواحُ الهدايةِ

ثُمَّ أنزلَ اللهُ تعالَى إليهِ الألواحَ، وهي التَّوراةُ، مكتوبةً في أَلواحٍ مِن جَوهرٍ نَفيسٍ، وكانَ ذلكَ في شهرِ رمضانَ

المباركِ، فقَدْ جاءَ في الأثرِ: أنَّ التوراةَ أُنزلتْ على موسى في ستِّ ليالٍ خلون من شهر رمضان، ونزل الزبور على داود في اثنتي عشْرَة ليلةً خلَت من شهرِ رمضانَ، وذلكَ بعد التَّوراةِ بأربعمائةِ سنةٍ واثنتينِ وثمانينَ سنةً، وأنزلَ الإنجيل على عيسى في ثمانيَ عشرة ليلة خلت من شهر رمضانَ بعدَ الزّبورِ بألفٍ وخمسينَ عامًا، وأنزلَ القُرآنُ الكريمُ على مُحمدٍ ﷺ في أربعٍ وعشرينَ مِن شهرِ رمضانَ. [أبو زرعة الدمشقي].

وكانَتِ التّوراةُ عِبرًا كلُّها، كمَا كانَ فِيها تفصيلٌ لكلِّ مَا يحتاجُ إليهِ بنو إسرائيلَ مِن الحلالِ والحرامِ، وقَدْ جاءَ في الحديثِ: أنَّ أبَا ذرٍّ الغفارِيَّ رضي الله عنه سألَ رسول اللهِ ﷺ عَن صُحفِ إبراهيم وموسى ـ عليهما السلامُ ـ فقالَ لهُ النَّبيُّ ﷺ عن صُحف موسى: «كانَت عِبرًا كُلُّها: عَجبتُ لمَن أيقنَ بالموتِ ثُمَّ هوَ يفرحُ! عَجِبتُ لمَن أيقنَ بالنَّارِ ثُمَّ هوَ يَضحكُ! عجبتُ لمَن أيقنَ بالقدرِ ثُمَّ هو ينصبُ (يتعبُ)، عجبتُ لمَن رأَى الدُّنيا وتقلبهَا بأهلِها ثُمَّ اطمَأنَّ إليها! عجبتُ لمَنْ أيقنَ بالحسابِ ثُمَّ هوَ لا يعملُ!» [ابن حبان والحاكم].

وأمرَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ مُوسَى ـ عليه السلامُ ـ أن يأخذَ الألواح بعزمٍ ونيّةٍ صَادِقَةٍ قَويّةٍ، ويقرأَها على قومِه بني إسرائيلَ، ويعلّمَهُم ما فيها مِن أحكامٍ، ويَأمرَهم بإطاعةِ ما فيها مِن أوامرَ، واجتنابِ مَا جاءَ بها من نواهٍ، وتنفيذِ أحكامِها وقوانينِهَا، ففعلَ موسى ـ عليه السلامُ ـ ذلك، وهدَّدَهم بالمخالفةِ أو العصيانِ لما جاءَ بها، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وقبلَ أن ينتهِيَ اللقاءُ أخبرَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ موسى ـ عليه السلامُ ـ بأنَّ قومَهُ قَد عصَوْا، وعبدُوا عِجلًا من الذهب صنعَهُ لهُم رجلٌ مِنهم يُسمّى السَّامرِي، فلمَّا عادَ موسى ـ عليه السلامُ ـ وجدَهُم كذلكَ، فغضبَ غَضبًا شَديدًا، وأَلقَى الألواحَ على الأرضِ، وعاتبَ أخاهُ هارونَ، فاعتذرَ إليهِ هارونُ بأَنَّهُ نصحَهُم فلم يَسمعُوا كلامَهُ، فقامَ موسى بحرقِ العجلِ، وألقَى بهِ في البحرِ، وعذَّبَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ السَّامرِيَّ عَذابًا شَديدًا، وتابَ الجميعُ إلى اللهِ، وكانَ مِن توبتِهم أن قَتلُوا كلَّ مَن عبدَ العجلَ.

فلمَّا هدأَ موسى ـ عليه السلامُ ـ رفعَ الألواحَ مِن الأرضِ مرّةً ثانيةً، ونادَى في بني إسرائيلَ كي يجتمعُوا مِن أجلِ سماعِ التّوراةِ، قالَ تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

عِنادٌ، وعِصيانٌ

اجتمعَ بنو إسرائيلَ حَولَ نبي اللهِ موسى ـ عليهِ السلامُ ـ فأخبرَهم موسى أن هذهِ الألواحَ فيها التّوراةُ، وهي كتابٌ منزلٌ مِن عندِ اللهِ تباركَ وتعالى، فيهِ كلامُ اللهِ، الّذي يشتملُ على أوامرَ ونواهٍ، كما أنّ فيه تنظيمًا وتشريعًا لحياتِهم، فيجبُ أن يسمعُوا ما جاءَ بهِ، وينفّذُوا أوامرَهُ، ويجتنبُوا نواهيَهُ، لأنَّ في ذلكَ إصلاحًا لهُم ولمعاشِهم في الدّنيا، كمَا أنَّ اللهَ سيجزِي العاملينَ بذلكَ جنةَ الخلدِ في الآخِرَةِ، وينجيهِ من العذابِ الأليمِ في نار جَهنمَ.

ولكنّ بني إسرائيلَ لم يَقتنعُوا بكلامِ موسى، وطبيعتُهم

المعاندةُ المجادلةُ جَعلتهُم يتمرّدُونَ على هذا الكلامِ، وراحُوا يساومونَ مُوسى على الحقِّ، وقالوا لهُ في عِنادٍ وعِصيان: يا مُوسى، مَا هذَا الّذي تقولُ؟ أَوَليسَ عندنَا عقولٌ؟ أَوَلسنَا عندنَا أفهامٌ؟! أنفعلُ مَا تَأمرنَا أنتَ وربكَ دونَ جدالٍ أو نقاشٍ؟! أترى أنَّنا أبقارٌ مُستأنسةٌ تَقودُها حيثُ تشاءُ؟! يا موسى، إنَّكَ بذلكَ تتهمُنَا في عقولِنَا وذكائِنَا.

فقالَ موسى ـ عليهِ السلامُ ـ: يَا قَوم، كَفاكُم عناداً وجدالًا، كفاكُم فسوقًا وعصيانًا، اسمعُوا ما أقولُ لكُم، وخذُوا أحكامَ التّوراةِ بقوَّةٍ وعزمٍ، وافعلُوا مَا يأمركُم بهِ اللهُ لعلَّكُم تتَّقونَ.

فقالُوا: سَمعنَا وعصَينَا، يا موسى إنَّما نطلبُ منكَ أمرًا بَسيطًا. فقالَ موسى ـ عليهِ السلامُ ـ: ومَا هوَ؟

قالُوا: انشر علينَا الألواحَ الّتي جئتَ بهَا، فإن كانَت أوامرُهَا ونواهيهَا سهلةً، نستطيعُ القيامَ بهَا بلا تعبٍ ولا مشقّةٍ قبلناهَا، ونفّذنَاهَا، أمَّا إذا كانَت هذهِ الأوامرُ شاقةً علينَا، مجهدةً لنَا، فلَن نقبلَها بالطبعِ، لأنَّهُ يجبُ ألّا يُكلّفنَا ربكَ إلا بما نطيقُ، وما تسَعهُ نفوسُنَا.

فقالَ مُوسى في هدوءٍ وحكمةٍ: يَا قَوم، اللهُ أعلمُ بكُم مِن

أنفسِكم، والله ـ عزَّ وجلَّ ـ هوَ الّذي خلقَكم، وهو الّذي يعلمُ ما فيهِ صلاحكُم، وما جاءَ مِن عندِ اللهِ مِن أوامرَ لا بدَّ أنَّ فيهِ نجاحَكمْ وصلاحكُم، كمَا أنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ لا ينهى إلا عن كلِّ فاحشٍ وفاسدٍ، فمَا جاءَ مِن عندِهِ مِن نواهٍ لابدَّ أنَّهُ يُبعدكُم بهِ عن الفشلِ والفسادِ. يَا قَوم اقبلُوا مَا جاءَ مِن ربِّكمْ، ولا تُناقِشُوا ولا تُجادِلوا، وقولُوا مرَّةً: سَمعنَا وأطعنَا.

فقالُوا: بَل سَمعنَا وعَصينَا، يا موسى إنَّما طلبنَا منكَ أمرًا بسيطًا عادلًا! مُناقشةَ هذهِ الأوامرِ والنواهِي، وقبولَ مَا جاءَ فيهَا طَالَما أنَّه مناسبٌ لنَا ولقدرتِنَا، نحنُ إذًا نطيعُكَ، ونطيعُ ربَّكَ، ولكنَّكَ أنتَ الَّذِي تتشدَّدُ علينَا، وتطلبُ مِنَّا أن نُنَفِّذَ كلَّ مَا جئتَ بهِ، إنَّ طلبنَا الَّذِي طلبناهُ منكَ طلبٌ سَويٌّ، طلبٌ عادلٌ، أليسَ كذلكَ يا مُوسى؟!

وهنَا ظهرَ الغضبُ الشديدُ عَلى وجهِ مُوسى ـ عليهِ السلامُ ـ وثارتْ حَمِيَّتُهُ للحقِّ، قالَ: إنَّكم ـ واللهِ ـ قومٌ بُهتٌ مُضَلِّلونَ، تَلبِسُونَ الحقَّ بالباطلِ، تُظهرونَ أنكُم أصحابُ مطالبَ عادلةٍ، وآراءٍ سَويَّةٍ، في حينِ أنَّ الفسوقَ والعصيانَ

يَظهرُ واضحًا خلفَ مَطالِبكُم وآرائِكم، يَا قَوم اتَّقُوا اللهَ، وأَطيعُوا أَمرِي، أليسَ مِنكُم رجلٌ رَشيدٌ؟! يَا قَوم اسمعُوا للهِ وأطيعُوا. فقالُوا في عنادٍ وتكبُّرٍ: هذَا هو ما عندَنا، نأخذُ مَا يُناسِبنَا وندعُ مَا لا نستطيعُ، فقالَ: أَتؤمنونَ ببعضِ الكتابِ وتكفرونَ ببعضٍ؟! مَا جزاءُ مَن يَفْعَل ذلكَ منكُم إلا خِزيٌ في الحياةِ الدُّنيا، ويومَ القيامةِ يُعاقبهُ اللهُ بأشدِّ العذابِ، يَا قَوم، أطيعُوا أمرِي، واسمعُوا لكلامِ اللهِ وأطيعُوه لعلَّكم تُفلحونَ.

فقالُوا: سَمعنَا، وعصينَا، وافعلْ مَا بدَا لكَ.

خُضوعُ المكرَهِ

واستمرَّ الجدالُ والنقاشُ بينَ بني إسرائيلَ ونبيهِم موسى ـ عليهِ السلامُ ـ مُدَّةً طويلةً، وأخذُوا يُراجعونَهُ مِرارًا في قبولِ مَا جاءَ في الألواحِ، ويُساومونَهُ على قبولِ نصفِ مَا جاءَ فيهَا، أو رُبعِهِ أو أكثرَ أو أقلَّ، ورفضِ بعضِ النواهِي، فلمَّا أصرُّوا على العنادِ والعصيانِ، وأتعَبوا نبيَّهم تَعبًا شَديدًا، جاءَ الأمرُ مِن اللهِ تعالى لملائكتهِ بأن يُلقُوا الرعبَ والخوفَ

والفزعَ في نفوسِ هؤلاءِ العاصينَ، وفي قلوبِ هؤلاءِ المعاندينَ، فأمرَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ ملائكتَهُ برفعِ جبلِ الطُّورِ على رُؤوسِهِمْ، حتَّى يَروا أن عذابَ اللهِ منهُم قريبٌ، وعقابَهُ قَد دَنَا منهُم دُنوًا شَديدًا، فإذَا أطاعُوا رُفِعَ عنهُم، وإنْ ظلُّوا على عنادِهِمْ وعصيانِهم أُطبِقَ عليهِم الجبلُ، فهلكُوا تحتَهُ.

وبالفعلِ، نفَّذَت الملائكةُ أمرَ ربِّهِمْ، فرفعُوا الجبلَ فوقَ رؤوسِ بني إسرائيلَ، حتَّى صارَ كأنَّهُ غمامةٌ فوقَهم، ودنَا منهُم دُنوًا شَديدًا، فظنُّوا أنَّهُمْ هالكونَ، وملأَ الرعبُ نفوسَهم، والخوفُ قلوبَهم، فقالُوا: أنقذنَا يا موسى، أنقذنَا يا موسى، إنَّا لهالكونَ، إنَّا لهالكونَ!

فناجَى موسى ـ عليهِ السلامُ ـ ربَّهُ، ثُمَّ قالَ لهُم: ألا ترونَ مَا يقولُ ربِّي ـ عزَّ وجلَّ ـ؟ فقالُوا: ماذَا يقولُ؟ إنَّنا ننفِّذُ كلَّ ما يأمرُ بهِ مِن أجلِ أَن يرفعَ عنَّا العذابَ، بماذَا يَأمُرنَا يا موسى؟ فقالَ: يقولُ: لئن لم تقبلُوا التّوراةَ بمَا فيهَا لأَرمينَّكم بهذا الجبلِ. فقالُوا: بَل نقبلُ، نقبلُ يا موسى كلَّ مَا فيهَا، سَمعنَا وأطعنَا.

وخرَّ كلُّ إنسانٍ منهُمْ سَاجدًا على حَاجبِه الأَيسر، وهوَ ينظرُ بعينهِ اليُمنَى على الجبلِ فوقَهُ، وذلكَ خَوفًا مِن أَن يسقطَ عليهِ، فلمَّا أَطاعُوا مُكْرَهِينَ مَقهورينَ، رفعَ اللهُ تعالى عنهُم العذابَ، وكشفَ عنهُم العقابَ، فعادَ الجبلُ كمَا كانَ، بعدَما أظهرَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ لهُم قدرتَهُ العظيمةَ، ومعجزاتِه الخارقةَ، وأيَّد نبيَّه مُوسى ـ عليهِ السلامُ ـ بهذهِ الآيةِ الكَرِيمَةِ.

ومَا أكثرَ الآياتِ الَّتي رآهَا بنُو إسرائيلَ! ولكنَّهم كانُوا بنعمةِ اللهِ يجحدونَ. قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

وصارَتْ هذهِ السجدةُ الَّتي سجدَها بنو إسرائيلَ، أحبَّ سجدةٍ إليهِم، فكانُوا يقولونَ عنهَا: هذهِ السجدةُ الَّتي رُفِعَتْ بها العقوبةُ.

وبعدَ أن كشفَ اللهُ ـ تعالى ـ عنهُمُ العذابَ، راحَ مُوسى ـ عليهِ السلامُ ـ يقرأُ عليهِم الألواحَ، ويتلُو عليهِم كلامَ اللهِ.

نَقضُ الميثاقِ

أخذَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ عَلى بني إسرائيلَ العهدَ والميثاقَ بالطَّاعةِ والخضوعِ، ولكنَّهمْ أعطَوْا ذلكَ تحتَ الإكراهِ والقهرِ، خَوفًا على حياتِهم، وحِرصًا على الدُّنيَا، فقَدْ رَأَوُا الهلاكَ فوقَ رُؤوسِهم، فلَم يكُن أمامَهم إلا اختيارُ الطَّاعةِ والاستسلامُ، ولكنَّهم بمجردِ أن اطمأنُّوا على حياتِهم وأَمِنُوا على نُفوسِهم، وبعدُوا عن الصخرةِ، عادُوا لا يسمعونَ كلامَ نبي اللهِ موسى، ولا نصائِحَهُ لهمْ، وخالفُوا أوامرَ اللهِ المكتوبةَ في الألواحِ، والنظامَ الذي أمرَهم بهِ في حياتِهم.

** ** **